تحصين المعنى بالعدول الصرفي بين المصدر المؤول والمصدر الصريح في تفسير البحر المحيط لأبي حيان دراسة صرفية دلالية

د.عدي عناد شكري ذياب العاني[1]

دائرة التعليم الديني والدراسات الأسلامية- العراق

المقدمة:

حظِيَتْ اللغةَ بعنايةٍ خاصةٍ من علماءِ الأُمَم؛ للحفاظ عليها، والارتقاء بها، وتخليصها ممّا يعلقُ بها من شوائبَ مع مرور الزمن؛ لأنَّها تُعَدُّ مظهرًا من مظاهر الحضارة لأيَّةِ أُمةٍ من الأُممِ، فحضارات الأُمَمِ تُقاسُ بلغاتها، ومدى استيعابها لما ينتجه الفكر الإنساني في مختلف مجالات العلوم.

وعلمُ الصّرف من أهمِّ علوم العربية مبحثًا، وأغمضِها موضوعًا، وأحقّها اعتناءً به درايةً وفهمًا فهو ميزان العربية، وبه تُعرَف أبنية الكلم، وتُضبَط الصّيَغ ويُعرَف الأصيلُ من الدخيل، لذا قال فيه ابن جني: (وهذا القبيل من العلم -أعني التصريف- يحتاج إليه جميع أهل العربية أتمَّ حاجة، وبهم إليه أشدّ فاقة؛ لأنَّه ميزان العربية، وبه تُعرَف أُصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلّا به، وقد يُؤْخَذُ جزء من اللغة كبير بالقياس، ولا يُوصَل إلى ذلك إلا من طريق التصريف). وساغ لابن عصفور أنْ يقول: (والتصريفُ أشرف شطري العربية وأغمضهما).

وبعد هذا ارتأت أن تكون الدراسة لظاهرة «تحصين المعنى بالعدول الصرفي من المصدر الصريح الى المصدر المؤول وعكسه عند أبي حيّان في البحر المحيط (دراسة صرفية دلالية) » في سبيل تحقيق هذه الغاية، وقد ينتهج الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يقوم على استقراء نماذج من الآي عند أبي حيان في تفسيره التي تبين وظيفة المصدر الصريح والمصدر المؤول، ومن ثَم مقاربة هذه النماذج وتحليلها بحثاً عن دلالات تحصين المعنى برصد تحولات تركيبات تلك النماذج وأثرها في السياق وما وظّفته من معانٍ تفرزها أنظمة اللغة (النحو والصرف والدلالة).

---

[1] مدرس في ثانوية الإمام النووي الإسلامية ، التابعة اللوقف السني، دائرة التعليم الديني والدراسات الأسلامية، وحدة البحوث

مشكلة البحث:

هي الكشف عن دلالة تحصين المعنى، والحفاظ عليه والتي يحاول الباحث أن يسلط الضوء على هذا النوع من العدول في ذكر بعض النماذج القرآنية التي أشار إليها أبو حيان بهذا القصد.

أسئلة البحث:

يثير البحث الاسئلة الاتية:

- ما فكرة تحصين المعنى؟
- لماذا عُدل هنا بالمصدر المؤول وعكسه؟

أهداف البحث:

1- إنّما هو دافعٌ أن يكون الباحث من الناظرين في كتاب الله، المتدبرين في رصف كلماته ونظم تراكيبه، ممّا دُفعَ إلى أن يختار من جملة تفاسيره موضوع دراسة البحث، فيكون نافذة يطلُ منها القارئ على جانب من الكتاب الكريم.

2- الوقوف على نماذج مدهشة ومحيرة في آيٍ من الكتاب العزيز، إذ شُكّلت أحيانًا لدى القارئ علامات استفهام كبيرة.

أهمية البحث:

وهنا تكمنُ أهميّة البحث اذ وجد الباحث في عرض تلك المؤثرات الداخلية والخارجية في النص التي بها تتوهج الملامح المشعة لفكرة التحصين، و يقع هذا المبحث (العدول بين صيغتي المصدر الصريح والمؤول) في ضمن الدراسات الصرفية الدلالية في القرآن؛ لأهميته في الكشف عن النكت الدلالية في العدول بين الصيغتين على الرغم من أنّهما من جذرٍ واحد.

منهج البحث:

انتهج الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يقوم على استقراء نماذج من الآي عند أبي حيان في تفسيره ومن ثَم مقاربة هذه النماذج وتحليلها بحثًا عن دلالات تحصين المعنى بين المصدر المؤول والمصدر الصريح برصد تحولات تركيبات تلك النماذج وأثرها في السياق وما وظّفته من معانٍ تفرزها أنظمة اللغة (النحو والصرف والدلالة).

الكلمات المفتاحية: الصرف– المؤول– العدول ، التحصين، المصدر

Fortifying the Meaning by Altering the Morphology between the Interpreted Infinitive and the Explicit Infinitive in the Interpretation of Al-Bahr Al-Muhit by Abu Hayyan، a morphological-semantic study

Dr. Odai Enad Shukri Diab Al-Ani

Abstract:
The title of this research is (Fortifying the meaning according to Abu Hayyan in Al-Bahr Al-Muhit، "a semantic grammatical study"). It is research concerned with collecting the noble Qur'anic evidence that has a prominent impact in strengthening the meaning of the general context of the text according to Abu Hayyan in "Al-Bahr Al-Muhit"، then studying it comprehensively. It relies on the sciences of grammar and semantics، then discusses it through these two sciences to understand the idea of fortifying meaning**.**

Keywords: morphology ، interpreter ، reverse ، enrichment ، gerunds

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، الذي أنزل على عبده الكتاب المبين، وجعله معجزة إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على من بعثه رحمة للعالمين؛ نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّابعد: فإنّ التعبير القرآني تعبيرٌ فريدٌ في علوه وسموه وإنّه أعلى كلاماً وأرفعه، وأبهر العرب فلم يستطيعوا مداناته أو الإتيان بمثله.

إنّما هو دافعٌ في نفسي أن أكون من الناظرين في كتاب الله، المتدبرين في رصف كلماته ونظم تراكيبه، ممّا دفعني إلى أن أختار من جملة تفاسيره موضوع دراسة، فيكون نافذة أطل منها على جانب من الكتاب الكريم، فاخترت تفسير «البحر المحيط» ميداناً للبحث؛ لأنّه يضم بين دفتيه من علم مفسره الجمّ في اللغة والنحو والقراءات والبلاغة وغير ذلك ممّا وظّفه في تفسير الآيات الكريمة وتقليب معانيها وبيان ما تدلُّ عليه، ما قد يجعله مصداقاً لاسمه.

لكلّ ذلك ارتأيت أن تكون دراستي لظاهرة «تحصين المعنى بالعدول من المصدر الصريح الى المصدر المؤول وعكسه عند أبي حيّان في البحر المحيط (دراسة صرفية دلالية) » في سبيل تحقيق هذه الغاية، وقد انتهجت المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يقوم على استقراء نماذج من الآي عند أبي حيان في تفسيره ومن ثَم مقاربة هذه النماذج وتحليلها بحثاً عن دلالات تحصين المعنى من خلال رصد تحولات تركيبات تلك النماذج وأثرها في السياق وما وظّفته من معانٍ تفرزها أنظمة اللغة النحو والصرف والدلالة.

تُعد فكرة تحصين المعنى في البحر المحيط من الموضوعات المهمّة في بناء الدرس التعبيري في القرآن الكريم، ولا يقوم هذا الدرس بمفرده، بل يستند إلى غيره، ولاسيما علمي النحو والدلالة وما يتعلق بهذين العلمين من جوانب تسهم في دراسة فكرة التحصين وما تتعرض له من قضايا أُخرى.

ومن هنا تكمنُ أهميّة البحث وجدته في عرض تلك المؤثرات الداخلية والخارجية في النص التي من خلالها تتوهج الملامح المشعة لفكرة التحصين.

أولاً: العدول:

العدول مصدر للفعل عَدَلَ، جاء في كتاب العين :(عِدْل الشيء: نظيره ... والعَدْل: أن تَعْدِل الشيء عن وجهه فتميله... وَعَدِلْتُ الشيء: أَقَمْتُه حتى اعْتَدل... وعَدِلْتُ الدابة الى كذا: أي عطفتها فانعدلت) (الفراهيدي، 2006، صفحة 2/ 39) ، وفي مقاييس اللغة :(عدل: العين والدال واللام أصلان صحيحان لكنّهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج) (فارس، 1979، صفحة 4/ 246).

وممّا تقدم يبدو أنّ العدول في اللغة يدل – فيما يدل عليه- على حيادة الشيء عن وجهته وإمالته عنها، والذي يهمني من الدلالات السابقة من مادة (عدل) ما يشير إلى معنى الأنحراف والتحول عن الشيء الى غيره، وهو المعنى الذي اعتمدتْ عليه دراسة هذا البحث، وقصده الباحث في عنوان هذا البحث.

اصطلاحاً:

تحيل مادة عدل في كتب النحو والتفسير والبلاغة على دلالة واحدة وهي دلالة الانصراف عن الشيء وتركه والتحول إلى غيره، يقول ابن جني في معرض تعريفه للعدل (معنى العدل: أن تلفظ ببناء وأنت تريد بناء آخر نحو: عمر وأنت تريد عامراً، وزفر وأنت تريد زافراً) (جني، 2007، صفحة 1/ 155) ولم يذهب بعيداً ابن الأثير عن سابقه فقال:(إنّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلاّ لنوع خصوصية اقتضت ذلك) (الأثير، 1999، صفحة 2/ 12).

والعدول باب واسع شامل، يندرج تحته فروع كثيرة وسأكتفي بهذا البحث العدول من المصدر المؤول إلى المصدر الصريح، وعكسه؛ لبيان أهمية تحصين المعنى المراد بيانه في سياق المعدول إليه، والآيات المعدول بها في السياق القرآني كثيرة لا يتسع هذا البحث لعرضها جميعاً، وسأذكر بعضها موزعة على مبحثين لا على سبيل الحصر، بل التمثيل بها وكشف تحصين المعنى من خلالها في البحر المحيط.

ثانيًا: تحصين المعنى:

تحصين المعنى مركب إضافي من كلمتين: التحصين، والمعنى، كقولنا: أصول الفقه، فصار مركبًا من جزأين المضاف « تحصين»، والمضاف إليه «المعنى» الذي تعرف به «التحصين» بعد

أن كان لكل جزء معناه الخاص به، ثم نقل من التركيب الإضافي وجعل علمًا لقبًا(علي،1185)للعلم المخصوص بالبحث.

أولًا:التحصين لغةً:

التحصين مصدر للفعل حصَّنَ، وتدل مادة «حَصَنَ» على كلِّ موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه، يُقال: حصن الموضع حصانةً (الفراهيدي أ.، صفحة 3/ 118). وجاء في المعجم الوسيط (معنى حصن في المكان حصانة منع فهو حصين، والمرأة حِصْنًا، وحَصانةً عفَّت وتزوّجت فهي حَصان) (مصطفى، د . ت، صفحة 180).

اصطلاحًا:

المعنى اللغوي يماثل المعنى الإصطلاحي الذي يهدف الى منع الشيء والحفاظ عليه.

إذًا فمعنى المنع والحفاظ على الشيء في أن يدخل فيه ما ليس منه هو المعنى الدّلالي للفظة «تحصين»، وبهذا المفهوم ذكره أبو حيان أثناء حديثه عن الأحكام شرعية بقوله:(لما بين تعالى حكم النكاح ، بين حكم القتال ، لأن النكاح تحصين للدّين ، والقتال تحصين للدّين والمال والروح) (حيان أ.، 2010، صفحة 2/ 258) ، إذًا تبدو العلاقة واضحة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لمفهوم التحصين؛ إذ أنّ كلاهما قائم على الحفظ والحيطة واحذر من كل ما يفسده.

ثالثًا: المعنى لغةً:

هو المقصود باللفظ وبالشيء عمومًا، وهو إما مصدر بمعنى المفعول، أو مخفف بمعنى اسم مفعول، وعلى معنى المصدر فهو القصد والمراد، يقال عنيتُ الكلام كذا أي قصدتُ وعمدتُ (الأزهري، 2001، صفحة 4/ 143).

اصطلاحًا:

المعنى هو ما يقصد بشيء، وجمعه معاني، وهي الصورة الذهنية؛ من حيث إنه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل، فمن حيث إنها تقصد باللفظ سميت: مفهومًا، ومن حيث إنه مقول في جواب ما هو سميت: ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج سميت حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار سميت هوية (الجرجاني، 1983، صفحة 65).

مما سبق يتضح بيان أجزاء المركب الإضافي «تحصين المعنى» بمفهوم واحد، وهو حفظ وصون ذلك الفهم المقصود من اللفظ من أن يدخل فيه ما ليس منه، وهو المعنى الدلالي لهذا المركب الذي مدار البحث عليه.

التحصين بالعدول بين صيغتي المصدر (الصريح، المؤول)

من الناحية التركيبية تمتاز بنيّة المصدر المؤول من بنيّة المصدر الصريح بوضوح العلاقة الإسنادية؛ ذلك لأنّ العنصر الإسنادي دائم الحضور في المصدر المؤول بخلاف المصدر الصريح، فيكون العنصر الإسنادي فيه دائم الغياب.

ومن ناحية أخرى لما في المصدر المؤول من دلالة على الزمن سواء أكان ماضياً أم كان مستقبلاً بخلاف المصدر الصريح فهو خالٍ من الزمن بنفسه. (السامرائي، 2011، صفحة 3/ 126) لذلك يرى «عباس حسن» أنّ الداعي إلى العدول عن المصدر الصريح إلى المصدر المؤول أمور تتعلق بالمعنى أو الضوابط النحوية. (حسن، 2006، صفحة 1/ 417)

يقع هذا المبحث (العدول بين صيغتي المصدر الصريح والمؤول) في ضمن الدراسات النحوية الدلالية في القرآن؛ لأهميته في الكشف عن النكت الدلالية في العدول بين الصيغتين على الرغم من أنّهما من جذرٍ واحد.

للوقوف على هذه النكت في تفسير «البحر المحيط»، فالقرآن يعبّر عن المصدر المؤول إذا ارتبط الحدث باحتمالية الوقوع، ويعدل عنه إلى المصدر الصريح إذا كان الحدث واقعاً لا محالة.

وسأحاول أن أسلط الضوء على هذا النوع من العدول في ذكر بعض النماذج القرآنية التي أشار إليها أبو حيان بهذا القصد، للاستفادة من دلالة بنية العدول في المصدر الصريح والمؤول في السياق، والكشف عن مزية تحصين المعنى المراد ببنية العدول بين الصيغتين في السياق، ويندرج تحت هذا المبحث مبحثان، وهي:

المبحث الأول

تحصين المعنى بالعدول إلى المصدر المؤول:

من دلالة بنية المصدر المؤول التركيز على الحدث المرتبط بالزمن في قوله تعالى: ﴿ يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج ﴾(طه: 59) متلك المصدر المؤول «أن يحشر» هنا كفاءة عالية في تضخيم حدث الحشر وجمع الناس، وهذه الدلالة واضحة من خلال جعل العلاقة الإسنادية بطرفيها «المسند والمسند اليه» طافية على بنية السطح إذ يركّز السياق هنا على جمع الناس في يوم محدد لديهم (لأن اجتماعهم يوم الزينة يكون في مكان لا محالة فبذكر الزمن علم المكان) (النسفي، 2005، صفحة 2/ 370) ، وقد لاحظ أبو حيان هذه الحركة العدولية والإشارة من المصدر المؤول إلى ما هو سيقع من جمعهم وحشرهم جميعاً بقوله: (لأنّه لا بدّ لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهراً باجتماعهم فيه في ذلك اليوم) (حيان ا.، البحر المحيط، 2010، صفحة 6/ 236) إذ يرى أبو حيان أنّ السياق يسعى من خلال العدول إلى تركيب المصدر المؤول إلى تحقيق دلالة حجم الحدث بعدة مؤشرات هي:

1- الإشارة إلى وقت معلوم وهو يوم الزينة والتأكيد عليه بأن لا يخلفه أحد الطرفين (أي لا نخلف ذلك الوقت في الاجتماع) (حيان ا.، البحر المحيط، 2010، صفحة 6/ 337)

2- التركيز على وقت بعينه في ذلك اليوم المعلوم وهو وقت الضحى (وهو ارتفاع النهار ... وإنّما واعدهم موسى ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله، وظهور دينه؛ ليكون المكان مكشوفاً أمام العيان) (حيان أ.، 2010، صفحة 6/ 337)

3- بناء الفعل «يحشر» للمجهول (فحذف الفاعل للعلم به) (حيان أ.، 2010، صفحة 6/ 337)

4- تأكيد حضور عوام الناس حتى لا يفهم المقصود حاشية فرعون فقط بقوله: «موعدكم» وجيء بالناس احتراساً.

فالسّياق يرسم منظراً حيوياً يفيض بالإشارة إلى ما فيه من مجريات الأحداث، فالصورة التي تفرضها علينا بنيّة العدول في أهمية الحدث الذي سيقع حتماً في المستقبل القريب، والمبالغة في التحدي بين لقاء الإيمان والطغيان في الميدان، وأرى أنّ السياق يستحق الوقوف

عليه لتدبره والتأمل فيه إذ ينضوي عليه معظم الدلالات السابقة مما يمكن أن يحصن معنى السياق العام.

وقد يؤتى بالمصدر المؤول لإرادة الحدث وصاحبه مع إرادة زمنه، وهذا ما لاحظه أبو حيان في قوله تعالى:﴿ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج﴾ (النحل: 40) فجاء العدول من المصدر الصريح «أ ضج » إلى المصدر المؤول « أ طح ظم » معترضاً على رأي ابن عطية(عطية، 648)من نفيه للزمن في المصدر المؤول في الآية السابقة، وفي قوله تعالى:﴿ لخ لم لى لي مج مح مخ﴾ (الروم : 25)بقوله: (وقوله: ولكن أن مع الفعل يعني المضارع وقوله: في أغلب أمرها ليس بجيد، بل تدل على المستقبل في جميع أمورها، وأمّا قوله: تجيء إلى آخر، فلم يفهم ذلك من دلالة أن، وإنّما نسبة قيام السماء والأرض بأمر الله، لأنّ هذا لا يختص بالمستقبل دون الماضي في حقّه تعالى. ونظيرهُ﴿ لم لى لي ما مم نر﴾ (البقرة : 259) فكان تدل على اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضي، وهو تعالى متصف بهذا الوصف ماضياً وحالاً ومستقبلاً) (حيان ا.، البحر المحيط، 2010) (عادل ا.، د.ت، صفحة 1/ 3201)

إنّ توظيف صيغة المصدر المؤول هنا « أن نقولَ » بعد المصدر الصريح «قولنا» في السياق مفتتح بنسق متتابع يشمل الماضي والحال والمستقبل (فالكلام من باب التمثيل لتأثير قدرته واستحالة امتناعها) (علي ا.، 1414ه، صفحة 4/ 508)

وفي ضوء ما تقدم يبدو أنّ تركيب العدول بـ«أن نقول» على رأي أبي حيان غير مختصة بالمستقبل بل هي تشمل الزمان المتطاول الممتد من قبل خلق الإنسان على الأرض إلى أن يرث الله الارض ومن عليها، وبهذا المضمون يتحقق الغرض المقصود من ظاهرة العدول الى المصدر المؤول الذي يسعى إلى تحصين المعنى المراد بالسياق، في الوقت الذي يمتلك المسند والمسند إليه حضوراً بارزاً في بنية المصدر المؤول.

وقد يؤتى بالمصدر المؤول هنا مقيداً بزمن دون آخر عكس ما تقدم كما هو في قوله تعالى: ﴿ بج بخ بم به تج تح تخ تم﴾ (التوبة:25) فتركيب المصدر المؤول « بما رحبتْ» معدول عن المصدر الصريح إذ أريد به الحدث والزمن فيما مضى؛ لأنّ الرحب حدث قبل نزول الآية فالسياق يعرض مشهد معركة «حُنين» فلما أراد الله سبحانه الحدث المصحوب بالزمن جاء ببنية العدول بالمصدر المؤول في مستواها العميق، قال أبو حيان: (وما مصدرية أي: ضاقت بكم

الأرض مع كونها رحباً واسعة لشدة الحال عليهم وصعوبتها كأنهم لا يجدون مكاناً يستصلحونه للهرب، والنجاة لفرط ما لحقهم من الرعب فكأنها ضاقت عليهم) (حيان ا.، البحر المحيط، 2010، صفحة 5/ 25).

وكأنّما يسعى السياق من خلال بنيّة العدول إلى المصدر المؤول لرسم صورة الخوف والوجل وشدة الحيرة من خلال إبراز عناصرها الأساسية المسند اليه والمسند والحدث والزمن، ويضيف الدكتور فاضل السامرائي فائدة فحواها الفرق بين أن و ما المصدريتين بقوله: (والمعنى برحبتها ولو قلت «بأن رحبت» لكان المعنى أنّها ضاقت عليهم بكونها رحبة، وهو معنى ناقص غير مراد) (السامرائي، 2011، صفحة 3/ 139) ، وبهذا يتحقق الغرض المطلوب من بنية عدول المصدر المؤول عن الصريح بتحصين معنى السياق المراد كما مر.

المبحث الثاني

تحصين المعنى بالعدول إلى المصدر الصريح

يختلف الأمر بالنسبة إلى المصدر الصريح عن المصدر المؤول إذ يمتاز بغياب المسند إليه من بنيته التركيبية غياباً يكاد أن يكون مطرداً كما أنّه يرتكز على الحدث بصورة أساسية، ولا يدل بنفسه على زمنٍ مطلقٍ، ولكن تبقى دلالته على الزمن ملحوظة ومستفادة من العبارات الأصلية التي سبك منه. (حسن، 2006، صفحة 1/ 419) ومن النماذج المختارة التي لاحظها أبو حيان بهذا الصدد

قوله تعالى: ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾(البقرة: 55) اذ جاء هنا المصدر الصريح «جهرة» لأهميّة الحدث ولتأكيد الرؤية بالعين، قال أبو البقاء:(جهرة مصدر في موضع الحال من اسم الله؛ أي نراه ظاهراً غير مستور) (البقاء، صفحة 1/ 64) ، ويرى أبو حيان في هذا المقام أنّ السياق إنّما عدل إلى المصدر الصريح لتوكيد حدث الرؤية عياناً إذ قال: (وانتصاب جهرة على أنّه مصدر مزيل لاحتمال الرؤية أن تكون مناماً أو علماً بالقلب، والمعنى حتى نرى الله عياناً، وهو مصدر من قولك جهر: بالقراءة وبالدعاء، أي أعلن بها فأريد بها نوع من الرؤية) (حيان ا.، البحر المحيط، 2010، صفحة 1/ 371) وكأنّ أبا حيان يريد هنا أنّ المصدر وقع احتراساً من عدم إرادة المشتركات اذ حصّن المعنى وجعله في صلب المقصود وعدم اشتراك الألفاظ والمسميات المشتركة مع الرؤية (والإشارة في الآية أنّ مطالبة الرؤية جهرة هي تعريض مطالبة الذات غفلة فيوجد سوء الأدب وترك الحرمة، وذلك من أمارات البعد والشقاوة) (حقي، 1127، صفحة 1/ 112) ويبدو أنّ استعارة الجهرة للرؤية منبه أسلوبي؛ لأن الجهر في المسموعات، والمعاني في المبصرات.

وقد يجيء المصدر الصريح مؤكداً لفعله ورفع احتمالية المجاز عنه، ويُتأمّل هذا في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: 164)لأنّ الكلام قد يطلق ويراد به الإيحاء وينصرف الذهن إليه، فجاء بتركيب المصدر الصريح «تكليماً» المؤكد للفعل «كلّم» بإزالة هذا التوهم، وليس أبو حيان بعيداً عن هذا الأثر في توجيه المعنى في مثل هذا الموضع فقد لاحظ تحصيناً للمعنى بالسياق العام بمجيء المصدر هنا فقال:(هذا إخبار بأنّ الله شرّف موسى بكلامه، وأكّد بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجازه، هذا هو الغالب) (حيان أ.،

2010، صفحة 3/ 414) فبنية العدول بالمصدر الصريح تعبّر عن قضيّة مبنيّة على الثبات والحقيقة وهي صفة الكلام بحقه سبحانه (فالتأكيد بالمصدر يفيد الحقيقة أنّه أسمعه كلامه وكلّمه بنفسه لا كلاماً قام بغيره) (السيوطي، المزهر في علوم اللغة، 1998، صفحة 1/ 288) بغير وحي ولا ترجمان، ويردفنا أبو حيان بنصٍ آخر على إثبات تحصين معنى السياق بالمصدر إذ قال: (لولا التأكيد بالمصدر لجاز أن تقول: قد كلمت لك فلاناً بمعنى كتبت إليه رقعة وبعثت إليه رسولاً، فلمّا قال تكليماً لم يكن إلّا كلاماً مسموعاً من الله تعالى) (حيان أ.، 2010، صفحة 3/ 414)، وقد أخذ بعض أهل العلم بمضمون الآية وردّ على بعض المعتزلة في دعواهم نفي التكليم. (السيوطي ا.، 1988، صفحة 238) لذا يظل توظيف صيغة المصدر الصريح في حيز الحدث كما ينبغي أن يكون.

ومن السمات الغالبة على أسلوب الخطاب القرآني في السياقات التي تؤطّر مشاهد يوم القيامة، وتعمق الشعور لدى البشرية بالاستبعاد عن حتميّة الظلم في ذلك المشهد الرهيب، إذ توظف صيغة المصدر الصريح الذي تنحسر دلالته هنا التحقق والتأكيد والمبالغة فيه، وهذا ما ألمح إليه أبو حيان في قوله تعالى:ﱡ ﱠ (الأنبياء: 47) فقال:(والقسط: مصدر وصفت به الموازين مبالغة كأنها جعلت في انفسها القسط) (حيان أ.، 2010، صفحة 6/ 294) إذ يرى في هذا المقام أنّ تركيب المصدر الصريح القسط تكسب فاعلية وكفاءة أسلوبية في الدلالة على حتميّة الحدث، وتجسيد صورة العدل يوم القيامة (فيظهر عدله وحكمته ومقسماً عليه من حيث إنّ الخلق في أحسن تقويم يقتضي العدل لا محالة) (البقاعي، 1415 ه، صفحة 8/ 428) يبدو أنّ إيثار لفظة القسط في السياق دون العدل هنا؛ لأن القسط هو العدل البين الظاهر، ومنه سمّيَ المكيال قسطاً، والميزان قسطاً؛ لأنّه يصور لك العدل في الوزن حتى تراه ظاهراً، وقد يكون من العدل ما يخفى؛ ولهذا عدل السياق عن العدل إلى القسط، وأنّ القسط هو النصيب الذي بيَّنتَ وجوهه. (الله، 2009، صفحة 1/ 428)

وبهذا التوظيف أوثرت صيغة المصدر الصريح في السياق؛ لأنّها رسمت ملامح المشهد الذي يظهر فيه عدل الله للدلالة على تناهي العدل المطلق بحقه سبحانه، لأنّ المقام ليس مقام إنكار واستبعاد فالصورة حاضرة والأذهان موطّنة على تصورها.

وربما يختلف الأمر كليّاً لو جاء التعبير بالمصدر المؤول هنا، ولاختلفت الصورة التي وظفها المصدر الصريح كما مرَّ، وليس هذا الملمح الوحيد الذي يُمنح بالمصدر الصريح هذه الصورة غرابتها وفرادتها، فيرى أبو حيان أنّ هناك ملمحاً آخر في التعبير بالمصدر الصريح لا يقلُّ ندرةً وادهاشاً عن الملمح السابق إن لم يتفوق عليه وذلك في قوله تعالى: ﴿ حج حم خج خم سج سح سخ سم ﴾ (مريم: 90) فقد رجّح أبو حيان مصدرية «هدّاً» معترضاً على الزمخشري جعله مفعولاً له(الزمخشري، 1407، صفحة 3/ 46) أي: لأنها تهد، وعلى رأي أبي حيان كونه مصدراً صريحاً يسهم بشكل مباشر بتحصين المعنى إذ يتوقف عليه السياق فقال:(وهذا على أن يكون «هدّاً» مصدر هدّ الحائط إذا هدمه ... لأن الظاهر أنّ «هدّاً» لا يكون مفعولاً بل مصدراً من معنى «وتخرُّ» ...أن يكون مصدراً توكيدياً) (عادل ا.، 1998، صفحة 1/ 3536) ويلمحُ من كلامه من إرادة المصدر «هدّاً» الحدث؛ لأهمية المقام هنا؛ لأنّ السياق يسعى الى تعميق بؤرة الغرابة من خلال تصوير انشقاق السماء والأرض والجبال قد زحفت على بعضها في مكان وقد تحولت إلى ركام، لتشكل بنية المصدر الصريح حدثاً يعجز الذهن عن تصور ضخامته وكثافته، فهو منظر فريد، ومشهد غير مألوف، فالذاكرة الإنسانية لم تختزن في تاريخها الطويل صورة لجبال صخرية صلبة تتحول في لمحة بصر إلى كومٍ من تراب (وما ذلك إلّا لتضمّنه شتم الرب تبارك وتعالى، والتنقص به ونسبة ما يمنع ربوبيته وقدرته وغناه اليه) (الجوزية، 751، صفحة 4/ 1576).

إنّ صورة انشقاق السماء والأرض وهدم الجبال لهي جديرة بأن تستوحشها الأذهان، وتنافرها التصورات، فكل غريب عن التصور خليقٌ بالاستيحاش والإنكار، وقاس أبو حيان مضمون هذه الآية بآية الأعراف لما بينهما من مشابهة في النتيجة هي قوله تعالى: ﴿ بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ ﴾ (الأعراف : 143) وذلك بطلب رؤية الحق –سبحانه– من لدن رسوله موسى «عليه السلام»، قال أبو حيان:(وهو

أنّ انظر إلى الجبل... كيف اجعله دكاً بسبب طلبك للرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه لما أريك من عظيم أثره؛ لأنه عز وجل حقّق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه) (حيان أ.، 2010، صفحة 4/ 381) ؛ليصبح هذا العدول بالمصدر الصريح قيمة إيحائية دلالية يسعى لتحقيق تحصين المعنى المراد بالسياق من خلال هذا العدول.

الخاتمة

1. أنّ إيحاءات السياق هي الأصل في تحصين المعنى وهو الذي ينبغي التعويل عليه والأخذ به بصفة عامة في ظاهرة تحصين المعنى كما هو السمة المطلوبة عند أبي حيان في تفسيره وهو الحاضر الفعلي على مدار الدراسة في الكشف من خلاله عن تحصين المعنى.
2. كما أنّ أبا حيان ابتعد عن التأويلات الخارجة عن سنن العربية، وحرص على الالتزام بظواهر النصوص في غالب تفسيره والاعتداد بالمسموع، ولعلّ من أسباب ذلك ظاهريته التي كان معروفاً بها.
3. اتبع أبو حيان في تفسيره منهجاً واضحاً في سرد صيغ المصادر الصرفية فهو يذكر المعاني عند ورود المصادر، ويكاد يحصي جميع ما يمكن أن تدل عليه من دلالات، ولا يكتفي بذكر تلك المعاني بل يتبعها بمثال لكل معنى.

المراجع

ابراهيم ، أحمد الزيات مصطفى. (د . ت). *المعجم الوسيط*. القاهرة: دار الدعوة.

ابن الأثير. (1999). *المثل السائر* (المجلد الأولى). (ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المحرر) بيروت لبنان: الكتب العصرية.

ابن القيم الجوزية. (751). *بدائع الفوائد*. لبنان: الكتاب العربي.

ابن عطية. (648). *المحرر الوجيز*. لبنان: دار الكتب العلمية.

أبو القاسم الزمخشري. (1407ه). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل* (المجلد ط: الثالثة). بيروت: مكتبة الكتاب العربي.

ابو حيان. (2010). *البحر المحيط*. بيروت: الكتب العلمية.

ابو حيان. (2010). *البحر المحيط*. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو حيان. (2010). *البحر المحيط* (المجلد الثالثة). (ت: عادل أحمد ، وعلي محمد، وزكريا عبد المجيد، وأحمد النجولي، المحرر) لبنان: التراث العربي.

ابو حيان وإبن عادل. (1998). *البحر المحيط واللباب*. لبنان: الكتب العلمية.

أحمد بن الخليل الفراهيدي. (بلا تاريخ). *العين*. لبنان: مكتبة الهلال.

أحمد بن فارس. (1979). *مقاييس اللغة*. (عبد السلام هارون، المحرر) بيروت لبنان: دار الفكر.

إسماعيل حقي. (1127). *روح البيان*. لبنان: إحياء التراث.

الأزهري. (2001). *تهذيب اللغة* (المجلد الأولى). (ت: محمد عوض مرعب، المحرر) لبنان: إحياء التراث.

الأعراف. (143). *الأية*.

الأنبياء. (47). *الأية*.

البقرة. (259). *الأية*.

البقرة. (55). *الأية*.

التوبة. (25). *الأية*.

الجرجاني. (1983). *التعريفات*. (ت: مجموعة من العلماء، المحرر) لبنان: الكتب العلمية.

الخليل أبو عبد الرحمن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي. (بلا تاريخ). *العين* . لبنان : دار مكتبة الهلال.

الخليل. (بلا تاريخ). *العين*.

الروم. (25). *الاية*.

السيوطي. (1998). *المزهر في علوم اللغة* (المجلد ط: الأولى). (ت: فؤاد علي منصور، المحرر) لبنان: الكتب العلمية.

السيوطي أبو بكر جلال الدين السيوطي. (1988). *معترك الأقران* (المجلد ط: الأولى). (ت: محمد علي البجاوي، المحرر) لبنان: الكتب العلمية.

الشوكاني محمد بن علي. (1414ه). *فتح القدير* (المجلد ط: الأولى). بيروت: ابن كثير.

العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله. (2009). *الفروق اللغوية* (المجلد ط: الأولى). (ت: محمد باسل عيون السود، المحرر) لبنان: الكتب العلمية.

العكبري أبو ت 616 البقاء. (بلا تاريخ). *التبيان في إعراب القران*. القاهرة: عيسى الحلبي.

الفراهيدي. (2006). *العين*. (د، المحرر) لبنان / بيروت: مكتبة الهلال.

اللباب ابن عادل الدمشقي المتوفى بعد 880 عادل. (د.ت). *تفسير اللباب* (المجلد الاولى). لبنان: الكتب العلمية.

النحل. (40). *الاية*.

النساء. (164). *الأية*.

النسفي أبو بركات عبد الله بن أحمد النسفي. (2005). *مدارك التنزيل وحقائق التأويل* (المجلد د،ط). (ت: مروان محمد العشار، المحرر) بيروت: دار النفائس.

النور. (بلا تاريخ). *59*.

بركات الدين البقاعي. (1415 ه). *نظم الدرر في تناسب الأي والسور*. (ت: عبد الرزاق غالب مهدي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

عباس حسن. (2006). *النحو الوفي* (المجلد ط: الأولى). لبنان: مكتبة المحمدي.
عثمان ابن جني. (2007). *اللمع في العربية*. (فائز فارس، المحرر) الكويت: الكتب الثقافية.
فاضل السامرائي. (2011). *معاني النحو* (المجلد ط: الخامسة). لبنان: دار الفكر.
محمد علي. (1185). *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*. لبنان: مكتبة لبنان..